القسم الخامس: مراسلاته مع الشيخ عبدالعزيز بن عبداللطيف آل مبارك

هذه القصيدة كتبها الشيخ عبد العزيز عبد اللطيف على أثر اجتماع دعا إليه الشيخ محمد بن عبدالله في عين أم سبعة المشهورة:

ألا رب يـــــوم كـــــل مـــــن فـــــرص الـــــدهر ... نهبنـــــاه منـــــه خلســـــة وهـــــو لا يـــــدري

ظفرنـــــا بـــــه مـــــع فتيـــــة خزرجيـــــة ... شـــــمائلهم كـــــالراح عـــــل بمـــــا القطـــــر

هـــــم القـــــوم لا تغشـــــى الهمـــــوم جليســـــهم ... ولا نبتغـــــي عـــــنهم بـــــديلا مـــــدى الـــــدهر

فتـــاهم ـ ومـــا فـــيهم دنـــيء ـ "محمـــد" ... فهـــم كنجـــوم أشـــرقت هـــو كالبـــدر

دعانـــــا فلبينـــــا إلـــــى خيـــــر مقصـــــد ... وأحســـــن مـــــا لبـــــى الفتـــــى داعـــــي اليســـــر

لمنتـــــزه نحـــــو الربيـــــع وجعفـــــر ... ليحيـــــى لأهـــــل الفضـــــل وصـــــل الهـــــوى العـــــذري

نثرنـــــا بـــــه الآداب فـــــانتظم الهنـــــا ... فيـــــا لـــــك مـــــن نظـــــم بـــــديع ومـــــن نثـــــر!

ونحـــــن مـــــن الغـــــيم النـــــدي بخيمـــــة ... ومـــــن كثـــــب الأنقـــــا علـــــى ســـــرر حمـــــر

وهبـــــت علينـــــا نســـــمة يمنيـــــة ... شـــــذى عرفهـــــا يشـــــفي الســـــقيم مـــــن الضـــــر

روت مـــــن حـــــديث بيننـــــا طـــــاب فـــــانبرت ... تعثـــــر فـــــي تلـــــك الهضـــــاب مـــــن الســـــكر

إذا مـــــا بكـــــى المضـــــنى بجفنـــــين خلتهـــــا ... بســـــبعة أجفـــــان مـــــدى دهرهـــــا تجـــــري

إذا مـــــا الربيـــــع افتـــــر ثغـــــرا مـــــن الحيـــــا ... بكـــــى جعفـــــر وجـــــدا علـــــى ذلـــــك الثغـــــر

وأصـــــبح محمومـــــا يحـــــن كأنـــــه ... يقلـــــب مـــــن حـــــر الغـــــرام علـــــى جمـــــر

تطـــــوف علينـــــا مـــــن جنـــــى الـــــبن أكـــــؤس ... شـــــفاء الهمـــــوم المـــــدلهمات فـــــي الصـــــدر

وشـــــاد رخـــــيم الصـــــوت يبتعـــــث الهـــــوى ... إذا هـــــو غنـــــى كـــــاد يـــــذهب بالســـــر

خلونـــــا فـــــلا ســـــاع ســـــوى الســـــاقي بيننـــــا ... ولا ثـــــم نمـــــام ســـــوى نفحـــــة الزهـــــر

وزار الشيخ عبدالعزيز بن عبداللطيف يوماً الشيخ محمد بن عبدالله، فلم يجده، لأنه كان قد ذهب لزيارة مشائخ له في محلة "العيوني" من بلد المبرز، فكتب الشيخ عبدالعزيز له هذه الأبيات:

ومـــــيض البـــــرق مـــــن غـــــرب "العيـــــوني" أفـــــاض الـــــدمع مـــــن غـــــرب العيـــــون

ونـــــوح الـــــورق أروى نـــــار وجـــــدي وأذكـــــى لوعـــــة القلـــــب الحـــــزين

عجبـــــت لهـــــا تنـــــوح وعـــــن شـــــمال تخاطـــــب إلفهـــــا وعـــــن اليمـــــين

وقـــــد باتـــــت مـــــن الأوراق تملـــــي وبـــــت أمـــــل مـــــن بحـــــر الفنـــــون

إذا صـــــدحت وحقـــــك لـــــم تجـــــد مـــــن يجاوبهـــــا ســـــوى دمعـــــي الهتـــــون

أوري بـــــ "الشـــــوادن" فـــــي كلامـــــي وفـــــي ســـــكانها أبـــــدا شـــــجوني

ملكـــــتم ـ ســـــادتي ـ رقـــــي فمـــــاذا علـــــيكم بعـــــد لـــــو كـــــاتبتموني؟

هـــــويتكم فملـــــتم نحـــــو غيـــــري كـــــذاك مـــــن الهـــــوى ميـــــل الغصـــــون

أكـــــاتبكم وأنـــــتم فـــــي فـــــؤادي وأطلـــــبكم وأنـــــتم فـــــي "العيـــــوني"

فأجاب إليه الشيخ محمد بهذه الأبيات:

ســـــلام صـــــيغ مـــــن ســـــحر العيـــــون يســـــلي لوعـــــة القلـــــب الحـــــزين

يحـــــاكي نســـــمة الإصـــــباح طيبـــــا وعتـــــب أخـــــي المـــــودة والشـــــجون

لقـــــد أوقـــــدتم نـــــارا بقلبـــــي ولـــــن تطفـــــي بمـــــدمعي الهتـــــون

فـــــؤادي فـــــي هـــــواكم مســـــتهام ومفتـــــون وقـــــد والفتمـــــوني

أتـــــاني مـــــنكم ســـــحر حـــــلال رمـــــى قلبـــــي بمـــــس مـــــن جنـــــون

وددت لقـــــاءكم لمـــــا قـــــدمتم ولـــــو لاقيـــــت بعـــــدكم منـــــوني

فجســـــمي فـــــي "العيـــــوني" مســـــتقر وقلبـــــي منـــــك فـــــي قيـــــد الرهـــــون

أرسل الشيخ عبدالعزيز بن عبداللطيف أخاه مبارك؛ يدعوه للاجتماع به، وبجماعة من أسرته الكرام في بستان له في الجهة المسماة بـ "باهلة"، وفي تلك الجهة عين جارية، تسمى "باهلة"، ولعلّ الجهة منسوبة إلى تلك العين، فذهب الشيخ إليهم، ولم يجد منهم أحداً، وذلك في وقت الهاجرة، وكان اليوم صائفاً، فكتب الشيخ محمد:

"مبـــــــارك" منانـــــــا لقـــــــاء الحبيـــــــب ... وعترتـــــــه الكاملـــــــة الفاضـــــــلة

وقـــــالي لـــــي: الموعـــــد تلـــــك الوطـــــاة ... جماعـــــة الفضـــــل بـــــه نازلـــــه

فجئتـــــه مـــــن أهلـــــه خاليـــــاً ... وعينـــــه أمواهـــــا ســـــائله

قالـــــت لنـــــا: يـــــا قـــــوم لا تطلبـــــوا ... قومـــــا كـــــرام الأصـــــل فـــــي "باهلـــــه"

فعـــــدنا ســـــراعا بخفـــــي حنـــــين ... نعامـــــة الكـــــل غـــــدت شـــــائله

وحســـــبنا الله ونعـــــم الوكيـــــل ... أحـــــر متمونـــــا نومـــــة القائلـــــه

فأجابه آل مبارك:

وغـــــادة زارت بـــــلا موعـــــد ... فـــــي ليلـــــة مزهـــــرة فاضـــــله

يـــــا حســـــنها مـــــن غـــــادة أقبلـــــت ... ترنـــــو رنـــــو الظبيـــــة الجافلـــــه

كـــم قطعـــت فـــي الوصـــل مـــن فدفـــد ... يـــــا حبـــــذا القاطعـــــة الواصـــــله

بتنـــا كمـــا شـــئنا وشـــاء الهـــوى ... والـــــدهر عنـــــا عينـــــه غافلـــــه

ظلـــــت تســـــقيني مـــــن ريقهـــــا ... راحـــــا بأعطـــــافي غـــــدت مائلـــــه

ثـــم انثنـــت تنثـــر مـــن عتبهـــا ... درا علـــــى أذنـــــي العاطلـــــه

خـــود تغـــار الشـــمس مـــن حســـنها ... والظبـــــي مـــــن ألحاظهـــــا القاتلـــــه

مـــن حبهـــا عشـــاقها أصـــبحت ... خاشـــعة أبصـــارها عاملـــه

ريـــم علـــى كـــل المهـــا قـــد حـــوت ... زيـــادة فـــي بابهـــا كاملـــه

كأنهـــا نظـــم كـــريم إذا ... أولـــى نـــوالا لـــم يـــزل نائلـــه

مهـــــذب حـــــاز العـــــلا يافعـــــا ورب كهـــــــــــل أثقلـــــــــــت كاهلـــــــــــه

ســـــمت إلـــــى العليـــــا بـــــه فتيـــــة عاليـــــــــة فـــــــــوق الســـــــــها نازلـــــــــه

أهـــــدى لنـــــا مـــــن نظمـــــه غـــــادة حســـــــناء فـــــــي بـــــــرد البهـــــــا رافلـــــــه

حثـــت علـــى الوصـــل وأضـــحت علـــى فـــــــــوت اللقـــــــــا محزونـــــــــة عازلـــــــــه

فيـــــــــا محبـــــــــا زار أحبابـــــــــه علـــــــى وعـــــــود لـــــــم تكـــــــن باطلـــــــه

قـــد زرتنـــا فـــي ســـاعة لـــم تكـــن شـــــــرعا لطيـــــــب الوصـــــــل بالقابلـــــــه